المبحث الثاني

الصوامت وأشباه الصوائت والصوائت المزدوجة ونطقها

المطلب الأوَّل: الصوامت وأشباه الصوائت:

❖ **الصوامت:**

تُعدُّ الدراسة الصوتيَّة من أهمِّ المجالات التي اعتنى بدراستها وتفصيلها وبيانها العرب المسلمون، خدمة للقرآن الكريم، معتمدين في كل ذلك على الذوق والحس المرهف، فأضحت كتبهم، وما تحويه من درر نفيسة، المصدر الأوَّل، الذي لا يمكن للباحث المحدث الاستغناء عنها، لما لها من فضل السبق في البحث عن الظواهر الصوتية والقوانين النطقية التي يعمل الباحثون المحدثون على تطويرها بفضل معطيات العلم الحديثة من آلات وغيرها؛ إذ إنَّ معظم الظواهر الصوتيَّة قد تطرَّق إليها القدامى في مباحثهم الصوتيَّة، ومن بينها تفصيلهم بين الصوامت والصوائت، فقسَّموا الأصوات إلى صحيحة ساكنة وهي الصوامت، وأصوات اللين، وهي الصوائت[1]، وهذا ما أشار إليه علماء الصوت العرب منذ عهد مبكر لدى اعتبارهم الفتحة والكسرة والضمة، وألف المدّ، وياء المدّ، وواو المدّ: أصوات لين، وما سواها أصواتاً ساكنة.

وقد كان الاهتمام العربيَّ المبكِّر منصبّا على الصوامت وهي الأصوات الساكنة، فعبَّر عنها العلماء برموز كتابيَّة معيَّنة وأعطيت حيِّزاً كبيراً من الدرس والتأصيل.

الصامت: الصوت الذي له مكان نطق محدَّد ينتج بقدر كبير من التوتُّر والاحتكاك، وربَّما غلْق كامل لمجرى الهواء ثمَّ فتحه فجأة، وذلك بخلاف

(١) ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس: ٢٦.

حرف العلَّة واللين، أي: الصوائت[1]، والصوامت في العربية أربعة أنواع:

١- **أصوات شديدة –انفجارية–**: وهي التي يسدُّ مجرى النفس عند النطق بها تماما، بأن يكون حبس النفس كلِّيًا، ثمَّ يحدث له انطلاق فجائي، مثل: الباء، والتاء، والدال، والضاد، والطاء، والكاف، والقاف، والهمزة[2].

٢- **أصوات رخوة– احتكاكية**: وهي التي لا يُسدُّ مجرى النفس تماما عند نطقها، فيضيق مجرى الهواء ولا يُسَدُّ ويمر محتكّاً بالعضوين الذين ضيقا مجراه، فيحدث النفس نوعا من الصفير أو الحفيف، وهذه الأصوات هي: الثاء، والحاء، والخاء، والذال، والزاي، والسين، والشين، والصاد، والظاء، والعين، والغين، والهاء[3].

٣- **أصوات مركَّبة**: وهي الأصوات الناتجة عن حبسٍ للهواء يعقبه تضييق يولِّد احتكاكاً، وفي العربية صوت واحد بهذه الصفة هو صوت الجيم.

٤- **الأصوات المائعة**: وهي الأصوات التي يصاحبها اتِّساع أو تسرُّب في مجرى النفس في موضع آخر. وهذا يحدث لأصوات: الواو، والياء، والنون، والراء، واللام، والميم.

❖ أشباه الصوائت:

إنَّ أغلب اللغويِّين العرب القدماء لم يصرحوا بتقسيم الأصوات إلى الأصوات الصامتة، والأصوات الصائتة، وما يكون بينهما من "شبه الصائت" أو

---

(١) ينظر: أسس علم اللغة، ماريوباي: ٧٨.

(٢) ينظر: الأصوات اللغوية: ٢٦.

(٣) ينظر: سر صناعة الإعراب: ٦-٧.

"شبه الصامت" ولكن النظام الصوتيّ العربيَّ يشتمل على صويتين شبهي صائتين هما الواو والياء في مثل "وَيْح" و"يَوْم" ؛ فما نظرة القدماء إلى هذين الصوتين؟

يقول سيبويه عن الياء في "أن أُعْطِيَه" إنها «لما تحركت خرجت من أن تكون حرف لين، وصارت مثل غير المعتل، نحو باء "ضَرَبَه"، وبَعُدَ شبهها من الألف..»[1]، فيؤسِّس هذه الفكرة للاحقين بعده كي يرددوها أو يوسعوها أو ينقحوها؛ أما مرددوها فلا داعي للوقوف عندهم، وأما الموسعون والمنقحون فنذكر منهم أبا الفتح ابن جني، إذ يفسر جواز أمثال "غُيُر" و"عِوَض" في اللغة وعدم جواز أمثال "*مُيْسِر" و"*عِوْد" فيقول: «إنما جاز ذلك من قبل أن الياء والواو لما تحركتا قويتا بالحركة فلحقتا بالحروف الصحاح، فجازت مخالفة ما قبلهما من الحركات إياهما»[2].

ويزداد تميز الواو والياء شبهي الصائتين وضوحا عند مكي القيسي وأبي عمرو الداني –القرن الرابع الهجري– وأمثالهما من المتأخرين إذ يقول القيسي: «حرفا اللين وهما: الواو الساكنة التي قبلها فتحة، والياء الساكنة التي قبلها فتحة، وإنما سميتا بذلك لأنهما يخرجان في لين وقلة كلفة على اللسان لكنهما نقصتا عن مشابهة الألف لتغير حركة ما قبلهما عن جنسهما فنقصتا المد الذي في الألف، وبقي فيهما اللين لسكونهما، فسميتا بحرفي اللين»[3]، ويقول الداني: «فإن انفتح ما قبلهما زال عنهما معظم المدِّ، وانبسط اللسان بهما، وصارا بمنـــزلة سائر الحروف الجامدة»[4]، وهذا ما يسمِّيه بعضهم بالسكون

(١) الكتاب: ١٩٣/٤، ٤٦٩/٣، إذ وصف واو " جَدْوَل" بأنها حية.

(٢) سرُّ صناعة الإعراب: ٢٠/١.

(٣) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة: ١٠١–١٠٢.

(٤) التمهيد في علم التجويد.

الحيّ؛ لأنَّ لَمَّا انفتح ما قبلهما أخذ اللسان في "**الياء**" والشفتان في "**الواو**"، بخلاف ما لو كانت حركة ما قبلهما حركة مجانسة فإنَّهم يسمُّون السكون حينها ميِّتا؛ لأنَّه في هذه الحال لا يكون لهنَّ حَيِّز ولا مقطع[1]، وفي المخطَّط الآتي توضيح للصوائت وأحوالها:

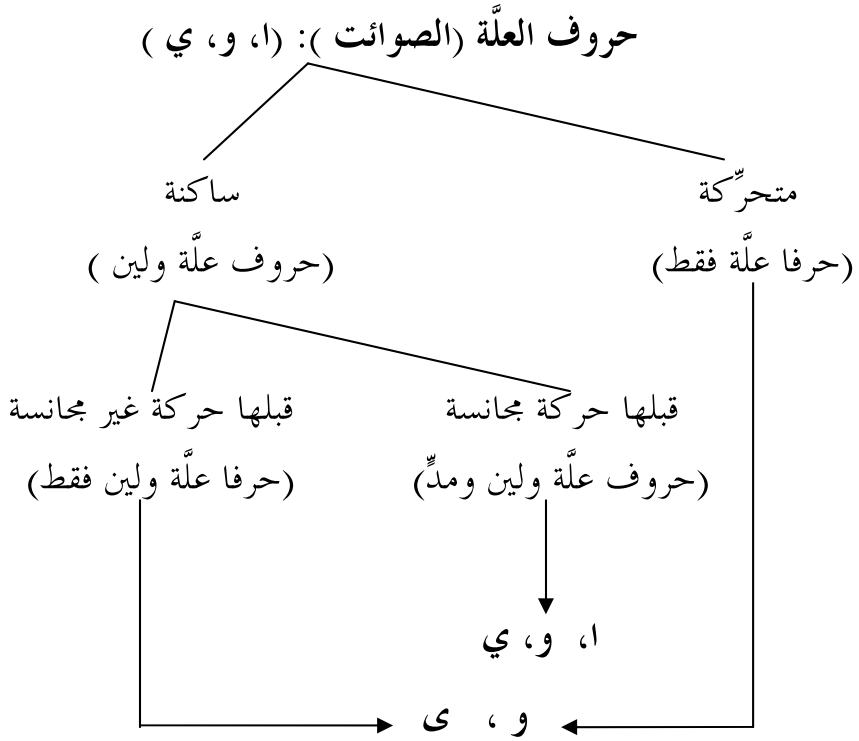

ولعلَّ هذا اللين الذي يميِّز الياء والواو عن غيرهما من صوامت العربيَّة هو الذي أتاح لهما القيام بوظائف لغويَّة متنوِّعة، فهما تؤدِّيان من جهة وظائف لا تؤدِّيها إلا الصوامت، كتكوين جذور الاشتقاق في معجم هذه اللغة، وتشاركان من جهة أخرى الصوائت في أداء وظيفة الزوائد في الصيغ القياسية لاشتقاق الألفاظ من الجذور المعجميَّة، وتقومان بوظائف صوتيَّة

(١) ينظر: التيسير الوافي في التجويد الكافي: ٣٨.

وتركيبيَّة، وقد كان اللغويون القدماء يشيرون إلى بعض هذه الوظائف وإلى درجة تردُّد الواو والياء في الخطاب العربيِّ، فهذا ابن دريد يقول: «واعلم أنَّ الألف والياء والواو أمَّهات الزوائد، لأنَّهنَّ حروف المدِّ واللين»، ثمَّ يذكر أنَّ «أكثر الحروف استعمالاً عند العرب الواو والياء والهمزة»[1]، ويذكر ابن جني أنَّ كلّاً من الواو والياء «يكون في الكلام على ثلاثة أضرب: أصلا وبدلاً وزائداً»[2]، وسنذكر فيما يأتي من أهمِّ وظائفهما:

١- أنهما تشاركان بنصيبهما في تكوين جذور الاشتقاق ضمن معجم اللغة العربية، وهذا ما يقصده اللغويون عادة حين ينسبون إليها وظيفة الصوامت[3]، ولإتمام الفائدة نذكر الأصول والزوائد في الكلمات العربيَّة:

أوَّلاً: الأصول: وهي دائما صوامت يرمز لها في الأوزان بالحروف ف.ع.ل. كما هو معروف، وتقوم بهذه الوظيفة كل صوامت العربية الثمانية والعشرين.

ثانياً: الزوائد، وهي نوعان:

أ- الصوائت قصيرة كانت أم طويلة ترد في الميزان الصرفي كما ترد في الألفاظ الموزونة، ويقوم هذه الوظيفة كل صوائت العربية.

ب- صوامت، وليس المراد كلُّ الصوامت، بل قسم منها اختارتها العربية

---

(١) جمهرة اللغة: ٤٨/١، ٥٠، وينظر أيضاً: شرح المفصل: ١٤١/٩.

(٢) الخصائص: ٥٧٣/٢، ٧٢٩.

(٣) ينظر: التصريف العربيّ من خلال علم الأصوات الحديث: ٥٣ ؛ ودراسة الصوت اللغويّ، الدكتور أحمد مختار عمر: ٢٨٣، وفي الأصوات اللغوية- دراسة في أصوات المدّ العربية: ٤٢ ودروس في علم أصوات اللغة، كانتينو: ١٢٦.

من بين صوامتها الثمانية والعشرين لتسند إليها هذه الوظيفة الإضافية، وعددها سبعة هي "أ، ت، س، ل، م، ن، هـ".

والزوائد بنوعيها جمعت في قولنا: "**سألتمونيها**".

ويمكن أن نلحظ مقدار إسهام كلٍّ من الواو والياء في تكوين جذور أكبر معجم للغة العربية، وهو "**تاج العروس من جواهر القاموس**"، وذلك إذا انطلقنا من أن نسبة التردد الوسطي لكل صويت صامت من صويتات العربية هو ٢٨/١ (٣,٥٧%)، فندرك أن الواو تحتلُّ رتبة متوسطة (هي الثانية عشرة بنسبة ٣,٥١%) في تردُّدها العام خلال مجموع جذور تاج العروس ثلاثية ورباعية وخماسية، أمَّا الياء فتأتي في رتبة متأخرة نوعا ما (بنسبة ٢,٣٨%). وإذا اقتصرنا على الجذور الثلاثية وجدنا أن نسبة تردد كل من الواو والياء ترتفع لتحتل الواو الرتبة الثانية (بنسبة ٥,٨٩%)، والياء الرتبة العاشرة (بنسبة ٤,٠١%). ومعنى هذا أنه لا ينافس الواو الصامتة في قوة ترددها خلال الجذور الثلاثية إلا الراء (ونسبة ترددها ٥,٩٠%)، وأن الياء أكثر ترددا في هذه الجذور من ثمانية عشر صويتا تأتي دونها في الترتيب.

٢- للواو والياء وظيفة ثانية متميزة هي مشاركتهما بنصيبهما في تنويع صيغ الاشتقاق من الجذور المعجمية، عن طريق "زيادتهما"، وفق نظام توزيعي مطرد غالباً، ضمن أصول هذه الجذور وزوائدها الأخرى. ويقوم بهذه الوظيفة في العربية الصوائت بالدرجة الأولى وفئة قليلة من الصوامت[1].

لم يستعمل في النظام الصوتي للُّغة العربيَّة من أشباه الصوائت إلا اثنين

(١) ينظر: شرح المفصل: ١٤١.

هما "**الواو**"، و"**الياء**" اللذان عدَّها أغلب الدارسين ضمن الأصوات الصامتة في اللغة العربيَّة تحت عنوان فرعي استدراكي هو "أشباه الصوائت" أو ما في معناه، أو "**الواو، والياء**" مباشرة، أمَّا اللغويين العرب القدماء فقد تنبَّهوا إلى وجود نوعين من "**الياء**" ونوعين من "**الواو**"، و قد وسَّع بعض الدارسين مفهوم أشباه الصوائت ليشمل أصواتا أخرى غير "**الواو**"، و"**الياء**" المذكورين، خصوصاً الذين استعملوا مصطلحات غير "أشباه الصوائت"، ونذكر منهم "گليزون" و"أبركرومبي" و"شومسكي/هالي" والجمعية الصوتية الدولية[1].

ويُعَدُّ الدكتور إبراهيم أنيس من أوائل إنْ لم يكن أوَّل من خصَّهما بشيء من العناية والتمييز عن غيرهما فذكرهما تحت عنوان "أشباه أصوات اللين"، وذكر أنَّهما صوتان يستحقان أن يعالجا علاجا خاصا، لأنَّ موضع اللسان معهما قريب الشبه بموضعه مع أصوات اللين –الصوائت–؛ ومع هذا فقد دلت التجارب الدقيقة على أننا نسمع لهما نوعا ضعيفا من الحفيف، ثمَّ عاد ليأخذ استنتاج ابن جنِّيٍّ ويضيف عليه شيئاً من التفصيل فوازن بينهما وبين الضمَّة والكسرة في موضع النطق ونوعه، فذكر أنّ موضع نطق الواو والياء هو موضع نطق الضمة والكسرة تقريبا، غير أنَّ الفراغ بين اللسان ووسط الحنك الأعلى حين النطق بالياء يكون أضيق منه في حالة النطق بصوت اللين، وكذلك الواو لا فرق بينها وبين الضمة إلا في أنَّ الفراغ بين أقصى اللسان وأقصى الحنك في حالة النطق بالواو أضيق منه في حالة النطق بالضمَّة، ثمَّ يستخلص أنَّ كلا من الواو والياء صوت انتقالي لأنَّهما تتكوَّنان من موضعي الضمَّة والكسرة ثمَّ

(١) ينظر: مبادئ علم الأصوات العام، ديفيد أبروكرومبي: ١٢٢، وأشباه الصوائت في اللغة العربيَّة –نظامها ووظائفها– بحث: ١٠.

تنتقلان إلى مواضع صوائت أخرى، ولهذا ولقصرهما وقلَّة وضوحهما السمعيِّ قياسا على الصوائت أمكن أن يعدَّا من الأصوات الساكنة -الصوامت-[1]، ثمَّ بين وجوه النقص في وصف القدماء لهذين الصوتين.

وفي المدَّة نفسها تناول "كانتينو" هذين الصوتين في مقال له صدر قبل كتابه حول علم أصوات العربية، فرأى أنَّ الصائتين الواو والياء المدِّيَّين معرَّضان لتحقُّقات خاصَّة في بعض المواضع، وهذه التحققات تقوم صرفياً بوظيفة الصوامت، وذكر أنه لا داعي لعدِّ شبهي الصائتين الياء والواو غير المدِّيَّين صويتين متميزين عن الصائتين الواو والياء المدِّيَّين وعرض أمثلة متنوعة تبين مختلف صور ورود الياء والواو في صيغ العربية ثمَّ استنتج من ذلك أنَّه لاوجود لصوائت مزدوجة أحادية الصويت في اللغة العربيَّة[2].

ومن جاء بعدهما فهو يسير في فلكهما، وينهل من معينهما فلم يضف شيئا مهمَّاً على ما قدَّما إلا ما فعله سلمان العاني في وصف نطقهما معتمداً في ذلك على التجربة والمختبر، فجاء وصفه في معظمه جديداً، إذ كان فيزيائياً أكثر منه نطقياً[3].

هذا التمييز الذي أنكره كثير من الدارسين العرب المحدثين، فاتَّهموا أسلافهم بالقصور أو التقصير إذ إنَّهم بزعمهم لم: «يقدموا لنا أي تعريف علمي لهذه الحروف، واكتفوا بالإشارة العارضة إلى وظيفة صوتية- صرفية من وظائفها. هذه الوظيفة، بحسب ما قرروا، هي كونها المادة الصوتية التي

---

(١) ينظر: الأصوات اللغويَّة، إبراهيم أنيس: ٤٢؛ واللسانيات العامة، روبرت هنري روبيتز، (مصدر إنجليزي): ٧٣.

(٢) ينظر: دروس في علم أصوات اللغة، كانتينو: ١٣٧.

(٣) ينظر: التشكيل الصوتي في اللغة العربية فونولوجيا العربية: ٥٩.

تتألف منها أصول الكلمات مهما اختلفت صورها وصيغها الصرفيَّة»[1]. لكن القدامى كما سنرى أدركوا الفرق بين الاثنين، واعتنوا بالصوائت -طويلة كانت أم قصيرة-، أيَّما عناية معتمدين في ذلك على ذكائهم وفطنتهم، ثمَّ لَمَّا دعت الحاجة إلى ضبطها كتابيّاً لم يتوانوا في ضبط ذلك كما في جهد أبي الأسود الدؤليِّ، ثمَّ جهود الخليل رحمهما الله.

المطلب الثاني: نطق أشباه الصوائت والصوائت المزدوجة

❖ نطق أشباه الصوائت

إنَّ عمليَّة النطق لشبه الصوائت -الواو والياء- لوجدناها تحدث عن طريق انتقال المتكلِّم من صائت إلى شبه صائت أو العكس، ولذلك أطلق عليه بعض الدارسين "**الصائت المزدوج**" لأنَّه لا يتصوَّر أحدهما إلا بتصوُّر الآخر، ومن هنا عمَّم بعضهم مفهوم المزدوج ليشمل كل المجموعات الصوتية التي تتجاور فيها الصوائت، والتي لو حاولنا أن نستقصي صورها الممكنة لحصلنا مع الاقتصار على الصوائت الرئيسية الثلاثة: الفتحة والكسرة والضمة على اثنتي عشرة صورة يمكن تصنيفها إلى فئتين[2]:

أ – فئة ينطق ثاني عنصريها كما تنطق أشباه الصوائت ويبقى أولهما صائتاً خالصاً، وهي فئة **المزدوج الهابط** (أو المزدوج الحقيقي) مثل:

١- فتحة تتبعها ياء ساكنة "اَيْ" كما في "بَيْت".

٢- فتحة تتبعها واو ساكنة "اَو" كما في "كَوْن".

---

(١) علم اللغة العام -الأصوات، كمال بشر: ٧٦.

(٢) علم اللغة العام، دي سوسير: ٨٥-١٠٠، وعلم اللغة مقدمة للقارئ العربيّ: ١٨٠، ودراسة الصوت اللغويِّ، أحمد متار عمر: ١١٨.

٣- كسرة تتبعها ياء ساكنة "اِيْ" كما في "جِيْد، قِيْل".

٤- كسرة تتبعها واو ساكنة "اِوْ" كما في "مِوْزَان"، وتعدُّ الكسرة هذه من أندر الكسرات لثقلها فموزان تقلب إلى ميزان في النطق العربيّ وإن أردنا لها مثالا في العربيَّة نجده في حالات الإدغام كما في "**مِنْ وَرَاءِ**" من قوله تبارك وتعالى: ﴿ **وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ** ﴾[1]، و"**مِنْ وَالٍ**" من قوله تبارك وتعالى: ﴿**وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٖ** ﴾[2]، و"**مِنْ وَاقٍ**" من قوله تعالى وتقدَّس: ﴿ **لَّهُمۡ عَذَابٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَقُّۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ** ﴾[3]، فتنطق: "**مِوْوَرائهم**"، و"**مِوْوَال**"، و"**مِوْوَاق**"، علما أنَّ الواو هنا لم تكن خالصة؛ لأنَّ الإدغام هنا إدغام ناقص، أي: بغنَّة، إذ ذهبت النون، وبقيت غنَّتها في الواو، ولم نجد لها استعمالا في غير هذه الصورة، أي: الإدغام كما في الأمثلة التي ذكرناها، أمّا أن في بناء أصليٍّ، فلم تستعمل.

٥- ضمة تتبعها ياء ساكنة "اُيْ" كما في "مُيْسِر" وهي صيغة مهملة في العربيَّة.

٦- ضمة تتبعها واو ساكنة "اُوْ" كما في "رُوْح"، و"صُوْر"[4].

---

(١) سورة هود عليه السلام: ٧١.

(٢) سورة الرعد: ١١.

(٣) سورة الرعد: ٣٤.

(٤) علم اللغة العام، دي سوسير: ٨٥-١٠٠، وعلم اللغة مقدِّمة للقارئ العربيِّ: ١٨٠، ودراسة الصوت اللغويّ، الدكتور أحمد مختار عمر: ١١٨.

ب- وفئة ينطق أوَّل عنصريها كما تنطق أشباه الصوائت ويبقى الثاني صائتا خالصا وهي فئة **المزدوج الصاعد** (أو المزدوج المزيف) مثل[1]:

٧- ياء تتبعه فتحة "يَــ" كما في "يَذْهَب".

٨- ياء تتبعه كسرة "يــِ" كما في المقطع الأوسط من "بُويِعَ".

٩- ياء تتبعه ضمَّة "يُــ" كما في "يُذْهِب".

١٠- واو تتبعه فتحة "وَ" في "وَصْل".

١١- واو تتبعه كسرة "وِ" كما في "وِصَال".

١٢- واو تتبعه ضمة "وُ" كما في "وُجُوه".

ونظراً لتعدُّد الفتحات والكسرات والضمَّات، وقبولها للتطويل، فإنَّ عدد صور الازدواج الصائتي قابل للزيادة نظريا، ولكنَّ المستعمل منها يختلف بين لغة وأخرى، ففي اللغة العربيَّة تُعَدُّ الصورة الخامسة مهملة بينما تنطق كلُّ الصور الأخرى مع قبول الحركات في أغلبها للإطالة المميَّزة -المدِّ-.

❖ نطق الصوائت المزدوجة:

ممَّا يتَّصل بموضوع الصوائت ما يصطلح على تسميته بـــ"**الصائت المزدوج**" أو الصائت المركب، وهو ترجمة لمصطلح أجنبيٍّ، وليس بالضرورة ما يكون في لغة أجنبيَّة ينطبق على اللغة العربيَّة، فلكلِّ لغة نظامها، وخصائصها، ولئن شملت بعض اللغات الأعجميَّة أصواتاً من قبيل الصائت المزدوج، فلربما لحاجة أهلها لذلك، أو لضعف اللغة نفسها، وقلَّة في أصواتها، وعلى ما يظهر لنا

---

(١) لا يعدُّ **مالمبرغ** هذه الفئة صوائت مزدوجة، لأنها في نظره صوامت تليها حركات. ينظر: علم الأصوات، برتيل مالمبرغ: ٤٤.

أنَّ العربيَّة ليس فيها صائتاً مزدوجاً، أو مركَّباً قائماً بنفسه، إلا ما يكون في الإمالة ونحوها، فهي في الأساس نغمة وليست صويتا، وسنبيِّن فيما يأتي إن شاء الله أسباب عدم وجود الصائت المزدوج في اللغة العربيَّة:

١- التحقيق النطقي للياء والواو الصامتتين ما هو إلا عملية انتقالية من صائت إلى شبه صائت أو العكس، وفي جرد الصور الممكنة لهذا الانتقال، في نطاق النظام الصوتي للعربية، يتبيَّن أنَّ جميع الصور التي يقتضيها التوزيع التأليفي للياء والواو غير المدّيتين مع الصوائت القصيرة والطويلة – جميع هذه الصور قد وردت لها أمثلة من الألفاظ العربية، باستثناء صورة واحدة لم نجد لها مثالا مستعملا، وهي الضمَّة التي تتبعها ياء ساكنة: "ـُيْـ"، والصور المستعملة منها ما هو كثير الاستعمال، ومنها ما هو قليل، ومنها ما هو نادر.

٢- إنَّ كلا من الواو والياء غير المدِّيتين تقع هامشا للمقطع إمَّا قبل قمته وإمَّا بعد هذه القمة، وهذا ما يؤكِّد صامتيَّتَهما وعدم كونهما جزءاً غير منفصل مما يسمى في لغات أخرى بـ"الصوائت المزدوجة"، بدليل إمكان استبدال غيرهما من الصوامت بهما، في جل مواقعهما، مع بقاء الصوائت المحيطة بهما، ويكفي لتأكيد هذا موازنة كلٍّ مثال بميزانه الصرفي. ومعنى هذا أنَّ العربية ليس فيها "صوائت مزدوجة" على المستوى الصوتيِّ خلافاً لعبد الصبور شاهين الذي له رأي آخر، وإن كانت بعض التأليفات الصوتيَّة التي تتجاور فيها الصوائت مع الياء والواو الصامتتين تبدو على مستوى علم الصوت كأنَّها صوائت مزدوجة[1]؛

(١) ينظر: أشباه الصوائت في اللغة العربية –نظامها ووظائفها– بحث.

ولا ينبغي أن ننخدع ببعض الموازنات التي قد توحي بتقابل صوتي بين "الصائت المزدوج" من جهة وبين الصائت المفرد من جهة أخرى، كما في "عَيْلَم" و"عَلَم" اللذين مثل بهما "أ. أندريه رومان"[1]؛ فلم لا نقول هنا: إنَّ "عَلَم" تتقابل مع "عَيْلَم" كما تتقابل ألفاظ أخرى نحو: "**عَبْهَل**"، و"**عَيْهَل**"، و"**دَرَق**"، و"**دَوْرَق**" وغيرها، أي أن الياء في "عَيْلَم" يقابلها فراغ مكانها في عَلَم، كما يقابلها "فتحة" أخرى مكانها في "عَالَم"، أو بعبارة القدماء: الياء زائدة في "عَيْلَم" والألف زائدة في "عَالَم"، أما الفتحة التي بعد العين في الألفاظ الثلاثة فهي باقية في "عَلَم" وفي "عَيْلَم" ومطوَّلة في "عَالَم" بـــ"إضافة" فتحة أخرى إليها، وهكذا تتقابل الألفاظ الثلاثة بالصويتات.

٣- تتميَّز الياء والواو غير المدّيتين عن باقي صوامت العربية صوتيّاً وصرفيّاً؛ أمَّا تميزهما الصوتيّ فهو أصل تسميتهما بـــ"شبهي الصائتين"، وأمَّا تميزهما الصرفيّ فيتجلَّى في كونهما "ليّنتين" إلى درجة إمكان ورودهما مع صامتين آخرين في بعض صيغ العربية، مثل "**دُوَيْبَّة**" ومعلوم أن النظام المقطعي للعربية لا يقبل تجاور أكثر من صامتين. ومن نتائج هذا اللين في الياء والواو أنَّ تجاورهما مع الصوائت، أو فيما بينها ليس حرّاً، بل هو خاضع لعدد من القيود؛ إذ قد تقع إحداهما في بعض الصيغ القياسيَّة مواقع "ضعف" تعرضها لـــ"التعديل" -الإبدال- أو "الحذف".

٤- تقوم الياء والواو الصامتتان بأداء وظيفة لغوية ثالثة: هي المشاركة في

(١) ينظر: دراسة علم الأصوات والصرف في العربيَّة الفصحى، أندريه رومان (مصدر فرنسيٌّ): ٣٤١.

تكوين بعض الوحدات اللغوية "**المبنيَّة**" الكثيرة الشيوع في الخطاب العربيِّ، وهي "**حروف المعاني**" و"**الأسماء الموصولة**" و"**الضمائر**" و"**أسماء الإشارة**" و"**بعض الظروف**".

٥- للياء الصامتة وظيفة خاصَّة لا تشاركها فيها الواو الصامتة، وهي كونها علامة تثنية وإعراب في المثنى المنصوب، والمجرور.

الخلاصة:

تنقسم الأصوات اللغويَّة إلى قسمين رئيسين: الصوامت والصوائت، وتختلف نسبة كلِّ نوع من لغة إلى أخرى، والعربيَّة نسبة الصوائت قليلة فقد ضمَّت ستَّة صوائت منقسمة إلى نصفين طويلة، وقصيرة.

وعلى الرغم من قلَّة عدد الصوائت فإنَّها ذات أهمِّيَّة كبيرة في اللغة، ولا غنى عنها فهي التي تُخرِج الصامتَ من سكونه، وتساعد الصوامت على الاتِّصال ببعضها؛ فهي كالقنطرةَ التي تربط الصوامتَ في السلسلة الكلاميَّة، كما أنَّها مصاحبة دائما لحرف الافتتاح في الكلام فمن قواعد التلفُّظ في العربية عدمُ الابتداء بالساكن، ولا يُبتدأ بالصائت، ولكن الصامت لا يُنطق إلاَّ إذا كانت الدفعة والدفقة من الصائت، ولولاه لكانت الصوامت ساكنةً لا نفعَ فيها، فهو يمثِّل نواةَ المقطع، الذي يعتبر أصغرَ وحدة صوتية في الكلام، ولما كانت الصوائت أساساً في بناء السلسلة الكلامية، أصبحتْ أكثرَ شيوعاً ودوراناً في الكلام، فمنها كل الصيغ الصرفية المختلفة، والوفرة في تعدُّد المعاني، فيكفي لتغيير صائت فيتغيَّر المعنى، فخواصُّها الصوتية تساعدها على البروز والدوران.

كما أنَّها سهلة التعامل في الأبنية الكلاميَّة فمرَّة تحذف، ومرَّة تزاد، وتتخذ أحيانا أشكالاً في النطق كالإمالة، والروم والإشمام والاختلاس، وذلك يعود لسعة مخرجها وسهولة تدفُّق النفس أثناء النطق بها.